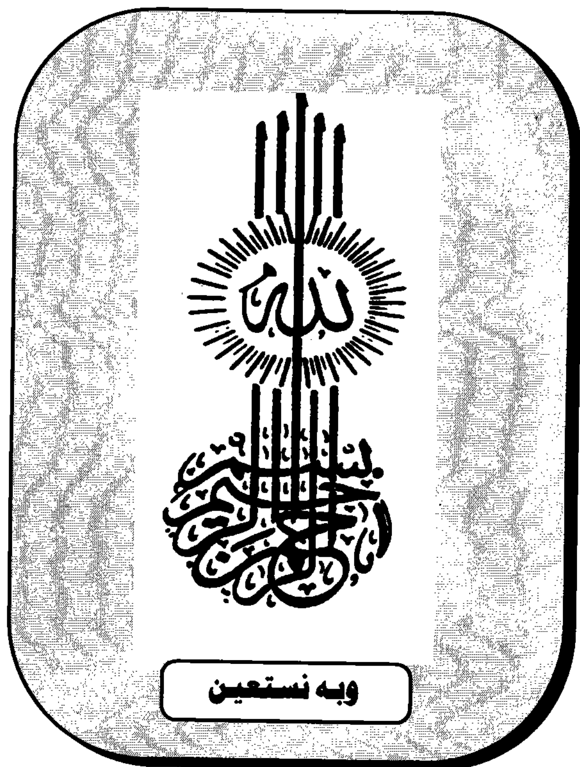
لا تيأس

أحمد سالم بادويلان


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين


لا تيأس

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بادويلان، أحمد سالم
لا تيأس .- الرياض.
٥٨ ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٧-٤٢-٨٥١-٩٩٦٠
١- الصبر ٢- الاخلاق الإسلامية أ-العنوان
ديوي ٢١٢,٣ ٢١/٠٥٩٣

رقم الايداع : ٢١/٠٥٩٣
ردمك : ٧-٤٢-٨٥١-٩٩٦٠

دار طويق للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨



الإهداء

إلى الأخ الأستاذ محمد الوعيل

الذين لا يعرفون الجوانب الرائعة والمشرقة من حياتك يستغربون إهدائي هذا الكتاب إليك ولكن مَنْ أُتيحت لهم فرصة معرفتك عن قرب - مثلي - يعرفون تماماً إنسانية وشفافية أبي نايف الذي أعترف بأنه كان وراء كل حرف كتبته في هذا الكتاب.

المؤلف

المقدمة

الحمد لله العلي القدير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير.

أما بعد:

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا معرَّض للخير والشر. فقد اقتضت سُنة الله أن يختبر عباده ببعض الابتلاءات ليعرف الذين يصبرون والذين لا يصبرون. حيث قال تعالى: ﴿**ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ فقد يكون هذا الابتلاء في الأموال بالخسران والضياع وقد يكون في الأولاد والأقارب بموتهم وفقدهم وقد يكون الابتلاء في الإنسان نفسه بتعرضه للمرض والجوع والمهالك، حيث يقول جل شأنه: ﴿**ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾.

وقد أمرنا الله بتحمُّل هذه الابتلاءات مستعينين بالصبر والصلاة حيث قال سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾.

كما أمرنا الله بألا نيأس من رحمته، حيث يقول جل جلاله:

﴿**ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾.

هذا وقد وعد الله الصابرين بأحسن الجزاء، حيث قال: ﴿**وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً**﴾. وقال: ﴿**وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم**﴾. ويقول تعالى: ﴿**إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون**﴾. وقال: ﴿**ستجدني إن شاء الله مع الصابرين**﴾.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى أن كل عسر لابد أن يعقبه يسر، حيث قال جل شأنه: ﴿**فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا**﴾.

هذا وعلى الإنسان أن يعلم أن الابتلاء من الله دليل على حب الله له، وأنه كلما عظم البلاء والاختبار عظم الجزاء من عند الله حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «**إن عِظَم الجزاء على عِظَم البلاء وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» أو كما قال. وقال صلى الله عليه وسلم: «**ومن يتصبر يصبِّره الله**».

هذا ومما لا شك فيه أن فرج الله قريب. وما على الإنسان إلا أن يبذل ما يستطيع من الأسباب المشروعة مع صدق التوجُّه إلى الله بالدعاء والاستغفار، راجياً أن يفرِّج كربته ويزيل ما ألمَّ به من المصائب وأن يُلزمه الصبر. وعليه أن يفوِّض أمره إلى الله مع صدق التوكُّل عليه، حيث يقول جل شأنه: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾.

وعلى الإنسان أن يؤمن إيماناً قاطعاً بأن الله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وقادر على أن يُذهب ما ألمَّ به من ضيق وهَمّ مهما كان حجمه ونوعه، حيث يقول سبحانه: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**.

وقال الشاعر:

وربَّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فُرِجتْ وكنت أظنها لا تُفرجُ

هذا وإني، من باب التذكير والنصح والإرشاد لإخواني وأخواتي المهمومين وبقصد التخفيف من آلامهم وتفريج شيء من همومهم وبث روح الأمل والتفاؤل في نفوسهم، كنت أتولى كتابة زاوية بعنوان (**لا تيأس**) وذلك في صفحة (هموم الناس) التي كنت أشرف على تحريرها بجريدة (المسائية) وقد كنت أتناول في كتاباتي تلك بعض الابتلاءات والمواقف العظيمة التي مر بها بعض الناس وكيف صبروا عليها حتى فُرجت بفضل الله. وقد نالت تلك الموضوعات التي نُشرت بتلك الزاوية استحسان القراء وتجاوبهم معها عبر رسائلهم واتصالاتهم الهاتفية.

ونظراً لما لمسته من اهتمام القراء بتلك الموضوعات ورغبة لتعميم الفائدة، فقد رأيت جمع بعض تلك الموضوعات بين دفتي هذا الكتاب، راجياً من الله أن ينال استحسانكم ويحوز رضاكم.

والله من وراء القصد.

المؤلف

صديقي المهموم لا تيأس

جاءني صوته مبحوحاً وحزيناً عبر أسلاك الهاتف ليقول لي: خلاص يا أخي أحمد!! ما في أمل! شعرت بمرارة السؤال وشدة يأسه وبؤسه وتلبست الحالة تماماً وحرت جواباً.

وأخذت أتذكر أول مرة جاء فيها إلى مكتبي بالجريدة وهو يشرح لي ظروفه وحالته وكتبت ما قاله لي بشكل بارز عسى ولعل أن يأتي تجاوب من أحد مع حالته. وبعد النشر كل أسبوع يتصل ويقول هل هناك جديد؟ وأرد الله كريم.

وبعد كل أربعة أسابيع أكرر نشر الموضوع تحت إصراره وتوسله ورجائه حتى بلغ عدد مرات النشر ست مرات وبلغت اتصالاته وزياراته لي أكثر من ثلاثين مرة. والآن جاءني سؤاله بشكل مغاير تماماً، فقد تقطعت كل خيوط الأمل واستولى اليأس على كل المساحات البيضاء والمشرقة في داخله ولم أعد أستطيع إيقاف ذلك المد الأسود بعد فقد كل وسائل المقاومة من التفاؤل والأمل والرجاء والصبر والاحتساب، ورغم ذلك أقول لأخي المهموم في وسط هذا الركام من اليأس والحزن والألم: دع كوة صغيرة بحجم رأس دبوس ليتسلل منها أمل كبير، إنه الأمل في الله وعدم اليأس من رحمته وانتظار الفرج بعد الشدة.

وسوف تشرق شمس الأمل والخير من جديد. فما زال هناك من الأخيار من هو قادر على مسح دمعتك وإعادة بسمتك وتبديد يأسك.

ورغم هذا وذاك دعني أقول لك ـ صديقي المهموم ـ أنت وكل من يعاني مثلك، لابد من العمل والسعي وطرق الأبواب وعدم انتظار شخص ما بيده مصباح علاء الدين ويقول لك «شبيك لبيك» كما جاء في الخرافات التي نسمعها ـ والتي لا أساس لها من الصحة إطلاقاً ـ قد تجد من يمد لك يد العون ولكن قد لا يستطيع أن ينهي كل معاناتك وآلامك.. فللآخرين همومهم ومشاغلهم.. فمطالب الحياة ومسؤولياتها لا تنتهي ويبقى الأمل مشرقاً يدمر ظلام اليأس، فلا تيأس يا صديقي المهموم وانتظر الفرج.

زوروا الفقراء والمساكين

كثير من محبي الخير عندما ترق قلوبهم وتهفو إلى عمل الخير والبذل والعطاء يقومون بإعطاء ما كتب الله من خير إلى الجمعيات الخيرية أو أئمة المساجد أو بعض من هم أهل للثقة، طالبين منهم توزيع تلك الأموال أو الأعيان على الفقراء والمساكين.. وهذا عمل جيد يُشكرون عليه مع الدعاء بأن يقبل الله عملهم هذا ويجعله خالصاً لوجهه، لكن ماذا لو قام هؤلاء الأعزاء بالبحث عن الفقراء

والمساكين وزيارتهم في منازلهم للتخفيف عنهم بالكلام الطيب والمال والابتسامة والدعاء وسماع أدعيتهم وهي تنطلق من أعماق قلوبهم لهم بأن يجزيهم الله خير الجزاء على ما قاموا به.

اعتقد أن تلك الخطوة لو تمت لكانت لها آثار طيبة وعظيمة.. أولها ملامسة هموم تلك الفئة من الناس مباشرة وتفقد أحوالهم، ففي ذلك ترقيق للقلوب وتفكير بالنعم الكبيرة التي ينعم بها، فيكون مدعاة لشكر الله والثناء عليه، كذلك يكون البذل والعطاء أكثر سخاء.. كما أنهم سوف يطمئنون بأن ما قدموه من مال كان في مكانه ووصل لمستحقيه وثانيها الأجر العظيم الذي سيجدونه عند الله على عملهم هذا وكذلك المتعة العظيمة والسعادة الغامرة التي يشعر بها الإنسان وهو يقوم بهذا العمل الجليل.. فلا تحرموا أنفسكم من المتعة.. وقد كنت ذات يوم في أحد مساجد الرياض وبعد أداء الفريضة قام أحدهم متحدثاً وكنت أظنه أحد أولئك المفوهين الذي ما أن يتكلم حتى تظن أنه سيلقي خطبة عصماء، فإذا هو متسول بارع في الخطابة، يحمل وثائق مزورة يستجدي أهل الخير مد يد العون له.. لكن ذلك الرجل ألقى كلمة بليغة جداً واستطاع أن يصف حال أسرة فقيرة تتكون من أحد عشر فرداً تسكن في غرفة واحدة يعشش فيها الحزن والكآبة والفقر والمرض.. وكان وصفاً بارعاً اعتقد أنه من خلاله استطاع أن ينقل جميع من كان في المسجد إلى تلك الغرفة بما رسمه من صور ببراعة ودقة تجعلهم يتفاعلون تماماً مع مأساة تلك الأسرة.. وأجمل ما في

ذلك الرجل أنه قال إنني لا أريد منكم أن تقدموا لي الأموال لأقوم بإيصالها لتلك الأسرة ولكن أريد منكم أن تزوروهم.. ومن يرغب في ذلك فإنني سوف أعلق (كروكي) بالموقع في لوحة الإعلانات بالمسجد.. وقدموا ما لديكم لهم مباشرة.. وتحدث عن فوائد تلك الخطوة في الدنيا والآخرة.. واعتقد أن كثيراً من المصلين قد أدار سيارته فوراً وتوجه إلى تلك الأسرة البائسة التي سخر الله لها ذلك الرجل الطيب الذي نقل همومهم بأسلوب رائع ومؤثر.. فهنيئاً له وهنيئاً لأهل الخير أعمالهم الطيبة وليتنا نعمل مثلهم ونزور فقيراً حتى لو في الشهر مرة واحدة.

استثمار الخير

لا نريد أن يكون الغرب مثلنا الأعلى في كثير من التجارب الإنسانية والعلمية والعملية.. ولكننا، في ظل تراخينا في التفكير وإعطاء فرص السبق للغرب في كل شيء، نجد أنفسنا مضطرين لاستيراد بعض التجارب الناجحة في محاولة للاستفادة منها بعد أن نصبغها بالطابع الذي نريده والذي يتماشى مع عقيدتنا ومبادئنا الإنسانية والاجتماعية الخيّرة. ويحفل التاريخ الإسلامي المعاصر القريب أو البعيد بالعديد ممن أوقفوا أموالهم ومشاريعهم وتجارتهم لتدريس طلبة العلم ومساعدة المحتاجين ولا يتسع المجال هناك لذكر بعض تلك النماذج المشرقة.

وقبل الخوض في التجربة الغربية التي سوف انقلها لكم - وهي غير خافية على الجميع - أود أن أشيد بالبذل السخي الذي يقدمه

الموسرون والمقتدرون من أموال وأشياء عينية للمؤسسات والهيئات الخيرية والإنسانية داخل المملكة وخارجها إضافة إلى ما يقدمونه للأفراد.

هذه المبالغ الضخمة التي تنفق لوجه الله طلبا لعفوه ومغفرته وشكراً لنعمه الظاهرة والباطنة، التي اسبغها علينا، ولا نزكيهم على الله.. فوالله الخير في هذه البلاد وأهلها باق إلى أن تقوم الساعة. أقول لو جمعت ورصدت تلك المبالغ خلال عقد واحد من الزمن لبلغت مليارات من الدولارات وليس الريالات.. وعودة لموضوع الغرب وتجربته في هذا المجال أذكر أن الهيئات والمؤسسات الخيرية لديهم تملك استثمارات ضخمة جداً فهي تجمع التبرعات ثم تستثمرها في مشاريع ناجحة جداً وتصرف من عائداتها وأرباحها بل تنمي رؤوس أموالها أيضاً لدرجة أن كثيراً من الهيئات الخيرية لديهم لا تعرف أين تنفق عوائدها فتقوم بمساعدة الجمعيات والهيئات الأصغر والأصغر في بلدانهم والدول الأخرى وينفقون نصيباً وافراً في جهود التنصير في العالم. واقترح لنستفيد بشكل جيد من التجربة الغربية في هذا المجال أن تنشأ هيئة عليا لتنسيق العمل الخيري والإنساني والدعوي في المملكة يرأسها إحدى الشخصيات البارزة وهم كثر ويحبون عمل الخير ويسعون له.. تقدم لها الصدقات والهبات والإعانات (ما عدا الزكاة فلها مصارفها وضوابطها) ويجري إعداد دراسات جدوى اقتصادية لمشاريع ناجحة تستثمر فيها هذه الأموال ثم تقدم للمحتاجين والفقراء بشكل مدروس ومتقن.. وحتى المساكين والفقراء لماذا نقدم لهم المال؟ ونعودهم على الكسل والخمول؟

فلنشجعهم على كسب العيش ونفتح لهم المشاريع بالمشاركة، نصف العائدات لهم والنصف الآخر لدعم المشاريع الخيرية والإنسانية.

أفكار كثيرة في هذا الإطار وهذا الطرح يمكن تداولها متى وجدت هذه الفكرة من يتبناها ويخدمها بشكل مدروس وجيد ولن نعدم أن نكون أفضل من الغرب في هذا المضمار وهذا لا يمنع من الاطلاع على تجاربهم والاستفادة منها بما يحقق أهدافنا وفق ضوابط شريعتنا السمحة ثم عاداتنا وتقاليدنا العريقة.

لا وقت للموت

ذلك عنوان كتاب الصحفية الأمريكية ليز تيلبريز، الذي أصدرته بعد أن أصيبت بمرض السرطان. وحين استشهد بتجربة امرأة غربية لا يعني ذلك أن نتخذ أولئك قدوة لنا في كل أمورنا ولكن هناك تجارب مشرقة يجب أن نطلع عليها ونستفيد منها بما لا يتعارض مع شريعتنا السمحة وقيمنا الاجتماعية الرائعة.

وليز هذه درست في كلية الآداب. وعند تخرجها تزوجها كان اندرو الذي يعمل في التدريس بالكلية. وبعد زواجها بخمس سنوات بدأت تبحث عن الإنجاب وأخذت تتعالج بالهرمونات.

طبيبها الذي كان يعالجها لم يستطع إخفاء الحقيقة عنها طويلاً، فصارحها بأنها مصابة بالسرطان وتم استئصال رحمها وخضعت للعلاج الكيميائي.

ولكن هل استسلمت ليز؟ هل انهزمت أمام المرض؟ طبعاً لا؛ فقد وضعت كبرياءها جانباً وواصلت مهامها وأعمالها حتى أصبحت رئيسة تحرير إحدى كبرى المجلات النسائية في أمريكا وواجهت مشكلتها بشجاعة وتقبلت التغيرات الجديدة في حياتها برحابة صدر.

وفي عهدها حصلت المجلة التي تعمل بها على جوائز عالمية، كما حصلت هي على وسام أفضل رئيسة تحرير. وتقول ليز إنها متفائلة باستمرار وقد تعلمت أهمية الاستمتاع بالاجازة مع زوجها وأقاربها.. ومما يؤكد توجهاتها للحياة بتفاؤل عنوان كتابها الذي نشرته أخيراً بعنوان: (لا وقت للموت).

أما نحن كمسلمين حتماً سنكون أفضل من ليز. لأننا نملك إيماناً قوياً وعقيدة سليمة واعتقاداً بأن الله لن يخذلنا متى ما لجأنا إليه وصدقنا معه وألحنا بالدعاء.

ونحن أفضل منهم لأننا أيضاً نؤمن بالبعث بعد الموت وأننا بإذن الله وبرحمة الله سندخل جنات النعيم.

ولكل يائس أقول لتكن أفضل من ليز وأخواتها.

الفرج بعد الشدة

في كتاب «الوابل الصيب» لابن القيم قرأت كلاماً جميلاً عن الفرج بعد الشدة، فيه عزاء وسلوى لكل هم أو مسألة أو شكوى.

قال تعالى: **﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾** (سورة النمل، الآية:٦٢).

وقال تعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** (سورة الطلاق، الآية:٢).

وقال تعالى: **﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾** (سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أصاب مسلماً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله بهما فرحاً**».

وفي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

وفي الترمذي عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزبه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك استغيث**».

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجوك فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**».

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا أستجيب له**». وفي رواية: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرّج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام**».

وفي السنن عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب: الله.. الله ربي لا أشرك به شيئاً**».

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي سعيد البقال قال: كنت محبوساً في ديماس الحجاج، ومعنا إبراهيم التيمي، فبات في السجن

فقلت: يا أبا أسماء، في أي شيء حُبست؟ قال: جاء العريف فتبرأ مني وقال: إن هذا يكثر الصلاة والصوم، فأخاف أن يكون يرى رأي الخوارج!!.

قال: والله إنا لنتحدث عند مغيب الشمس ومعنا إبراهيم التيمي، إذا نحن برجل قد دخل علينا السجن فقلنا: يا عبد الله، ما قصتك؟ وما أمرك؟ قال: لا والله ما أدري، ولكني أظن أُخذت في رأي الخوارج، فوالله إنه لرأي ما رأيته، ولا هويته، ولا أحببت أهله، يا هؤلاء، أدعوا إليّ بوضوء قال: فدعونا له بماء فتوضأ، ثم قام فصلى أربع ركعات فقال: اللهم إنك تعلم أني على إساءتي وظلمي وإسرافي، لم أجعل لك ولداً، ولا نداً، ولا صاحبة ولا كفواً، فإن تعذب فإني عبدك، وإن تغفر فإنك أنت العزيز الحكيم.

اللهم إني أسألك يا من لا يغلطه المسائل، ويا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، أن تجعل لي في ساعتي هذه فرجاً ومخرجاً من حيث احتسب، ومن حيث لا أحتسب، ومن حيث أعلم، ومن حيث لا أعلم. ومن حيث أرجو، ومن حيث لا أرجو، وخذ لي بقلب عبدك الحجاج، وسمعه، وبصره، ولسانه، ويده، ورجله، حتى تخرجني في ساعتي هذه، فإن قلبه وناصيته في يدك، أي رب! أي رب! أي رب!.

قال: فأكثر، فوالله الذي لا إله غيره، ما قطع دعاءه إذ ضُرب باب السجن، أين فلان؟ فقام صاحبنا فقال: يا هؤلاء! إن يكن

العافية، فوالله لا أدع الدعاء، وإن يكن الأخرى، فجمع الله بيني وبينكم في رحمته، فبلغنا من غدٍ أنه خُلّي عنه.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكان يظنها لا تُفرج
لا تيأسن فكل عسر بعده
يُسرٌ به الفؤاد المحرج
واصبر فإن الصبر في الدنيا إلى
نيل المنى والقصد نعم المنهج

❀ ❀ ❀

ألا يا أيها المرء الـ
ذي الهم به برح
إذا اشتدت بك العسرى
ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين
إذا كررته فافرح
فإن العسر مقرون
بيسرين فلا تترح

أرأيت يا أخي كيف أن الفرج يأتي بعد الشدة؛ فلا تيأس.

وعد

الأمومة والأبوة نعمة كبرى أنعم الله بها على عباده، ولكن لا يشعر بهذه النعمة العظيمة إلا من حُرِم منها، واسألوا المصابين بالعقم عن ذلك، فلو طُلب من أحدهم بيع كل ما يملك وينفق كل ما لديه، لما تردد لحظة من أجل أن يعيش أجمل اللحظات في حياته مع مولود يحمل اسمه، يرعاه بحنانه وحبه وينشئه التنشئة الصالحة ويرى فيه أحلامه وآماله وطموحاته.. فمن وهبه الله هذه النعمة فليحمد الله عليها كثيراً ومن حرم منها فليسأل الله فهو كريم قريب مجيب ولا ييأس من فضل الله وكرمه، ولأولئك الذين حُرِموا من هذه النعمة أذكر حادثتين لعل فيهما عزاء لهم وتفتح نوافذ الأمل في قلوبهم، فليس هناك شيء مستحيل وإليكم القصة الأولى:

بعد ثمانية عشر عاماً من اليأس المختلط بالأمل تحقق حلمه المعجزة.. وأصبح أباً وانتهت مع المعجزة مراجعة المستشفيات بحثاً عن (الأبوّة) الضائعة في وصفات الأطباء.

هذه هي خلاصة قصة الشاب أحمد. م. ع التي نشرتها جريدة (اليوم) في غرة شعبان ١٤١٩هـ والذي انتظر طويلاً وصبر كثيراً حتى جاء الفرج الموعود من عند الله.. والبشارة لم تأت على لسان مختص، ولا طبيب، ولا كشف مشعوذ، بل جاءت البشارة مع تحليل طبي قامت به

زوجته لهدف آخر غير هدف معرفة الحمل.. لم يصدق ولم تصدق زوجته ولكن شهور الحمل انتهت بطفلة سمياها (وعد) التي مضى على عمرها حتى هذا اليوم قرابة السنة هي في مشاعر والديها (ألذ من كل متع الحياة).

أما القصة الأخرى التي تدعو للتفاؤل والأمل فقد جاء خبرها في جريدة (عكاظ) حيث يقول الخبر: وضعت سيدة من مدينة غزة مولوداً بعد (٢٦) سنة من العقم وذلك في عملية نادرة الحدوث.

فقد رزقت السيدة هند الحلو طفلاً بعد أن خضعت لعملية جراحية بمركز للعقم.

فلكل أولئك الذين حُرموا من نعمة الأبوّة والأمومة أقول: لا تيأسوا واستعينوا بالله واجتهدوا في الدعاء والتوكل، فلن يخيب الله رجاءكم.



الأم الصبور

قبل عدة عقود من السنين (أيام الجوع والمرض والفقر) أصيب طفل بداء الجدري الذي كان منتشراً في تلك الأيام والذي لا يمكن علاجه في ذلك الزمن، وكان أهله لا يملكون إلا أن يصبروا ويحتسبوا ما أصاب ابنهم.

وفي أحد الأيام لاحظت الأم أن ابنها يمشي وهو ممسك بجدران الغرفة حينها، أدركت الأم الحنون أن الجدري قد خطف بصر ابنها وقرة عينها وفلذة كبدها الغالي. وكانت الأم تستند إلى عقيدة صافية وإيمان قوي وراسخ، فما جزعت ولا صرخت ولا ولولت.. بل حمدت الله وأثنت عليه ثناء عطراً وذهبت وتطهرت وتوجهت إلى مصلاها وصلت لله ركعتين أطالت سجودها وهي تقول يارب إذا عميت بصره فلا تعمي بصيرته، اللهم فقهه في دينك واجعله من حفظة كتابك. وأطالت الدعاء والبكاء بين يدي الله وهي تتذلل وتتوسل رب العالمين وأرحم الراحمين ألا يخذلها وأن يستجيب دعاءها.

شب الطفل وترعرع في كنف أمه الصبور الشاكرة فحفظ القرآن الكريم كاملاً وهو دون العاشرة وبدأ في حفظ كتب الحديث والتفسير ومتون كتب الفقه والسيرة وأظهر نبوغاً غير

عادي، حتى أصبح ذلك الطفل المجدور عالِماً من كبار العلماء المعروفين، بل أخرج الله من صلبه أربعة من حفظة كتاب الله، أصبح أحدهم أيضاً مثل أبيه من كبار العلماء الذين يشار إليهم بالبنان.. وهو الآن حي يرزق وقد رحل والده إلى بارئه وقد ترك سيرة حميدة وذرية صالحة وعلماً نافعا بفضل الله ثم بفضل دعوة تلك الأم الصابرة المحتسبة التي صدقت الله فصدقها ولم تيأس من رحمة الله وكرمه وفضله فعوضها الله صبرها خيراً وجعل ابنها خيراً من كثير من المبصرين وجعل في ذريته طلاب علم وفقهاء وحفظة كتاب الله. فالحمد لله على نعمه وفضله.. إنه مجيب دعوة الداعي إنه سميع قريب مجيب.



زائر الليل

في مدينة الخرج دارت أحداث هذه القصة التي أحدثكم عنها كما رواها لي رجل ثقة. فقد وقع حادثٍ مروري مؤسف لرجل نقل على اثره إلى المستشفى وطالت فترة علاج الرجل، وهو في غيبوبة تامة منذ أن أحضرته سيارة الإسعاف إلى المستشفى.

الأطباء بذلوا كل ما في وسعهم أن يعملوه من علاج ورعاية وعناية ولكنهم لم يلمسوا أي تحسن في حالته التي باتت في حكم المستقرة.

أحد أحبة الرجل المريض اقترح على أقاربه أن يعرضوه على قارىء يرقيه بالرقية الشرعية، فطلب منه الراقي أن يحضروه إلى بيته، فأخبروه أن الرجل في غيبوبة ومركب عليه أجهزة المستشفى، فوافق الراقي على زيارته.. وفعلاً حضر إلى المستشفى وطلب منهم الإمساك بأرجله، فقالوا له إنه لا يتحرك منذ فترة فأصر الراقي، فأمسكوا بقدميه، لكن دون اقتناع.. وبدأ الراقي يقرأ من كتاب الله، وبعد قليل تحرك الرجل واهتزت أرجله بقوة مما اضطرهم إلى الإمساك به بشدة، ثم سكن مرة أخرى واستقر. وغادر الراقي على أن يعود إليه مرة أخرى.

وبعد منتصف الليل سمع الراقي طرقاً قوياً على باب منزله وقام مذعوراً وفتح الباب، وعندما شاهد أحد أقارب المريض قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ظاناً أن الرجل قد توفاه الله أو حدثت له مضاعفات. ولكن الرجل عانقه بحرارة وأخذ يدعو له بعد أن كانت رقيته سبباً في أن يمن الله عليه بالشفاء، وبدأ الرجل يحدث الشيخ عما حدث.

فبعد ساعات من الرقية فاق الرجل من غيبوبته وطلب من المرضات إبعاد الأجهزة والأنابيب من جسده وطلب عصيراً طازجاً لشربه. وهي أول مرة، منذ شهور، يفيق من غيبوبته ويشرب شيئاً عن طريق فمه.. فحمد الراقي الله على عافية ذلك الرجل وشكره زائر الليل ولسانه يلهج له بالدعاء.

فبعد يأس شديد جاء الفرج وعادت البسمة إلى الشفاه والصحة للأبدان وزالت الغموم والهموم.

وهذا ما شجع أحد أقارب المريض بعرض ابنه على أحد المشايخ ليرقي عليه حيث إنه يعاني من مرض السرطان منذ عشر سنوات تقريباً.. اللهم أرزقنا اليقين ومتعنا بالصحة والعافية ولا تجعلنا من القانطين واليائسين.



اللّه يرضى عليك يا ابني

طرق الباب طارق، ورجل مسكين يجلس متصدراً المجلس الذي يخلو إلا منه. ونادى من يفتح الباب وحضر ابنه الشاب الذي لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره. وعندما فتح الباب اندفع رجل بدون سلام ولا كلام ولا احترام وتوجه نحو الشايب وامسك بتلابيبه وقال له: اتق اللّه وسدد ما عليك من الديون، فقد صبرت عليك أكثر من اللازم ونفد صبري، ماذا تراني فاعل بك يا رجل؟ وهنا تدخل الشاب ودمعه في عينيه وهو يرى والده في هذا الموقف وقال للرجل: كم على والدي لك من الديون؟ فقال الرجل أكثر من تسعين ألف ريال. فقال للرجل: اترك والدي واسترح وأبشر بالخير. ودخل الشاب إلى المنزل وتوجه إلى غرفته حيث كان قد جمع مبلغا من المال قدره سبعة وعشرون ألف ريال من رواتبه التي يستلمها من وظيفته، والذي جمعه ليوم زواجه الذي ينتظره بفارغ الصبر، ولكنه آثر أن يفك به ضائقة والده ودينه على أن يبقيه في دولاب ملابسه.

ودخل إلى المجلس وقال للرجل هذه دفعة من دين الوالد قدرها ٢٧ ألف ريال وسوف يأتي الخير ونسدد لك الباقي في القريب العاجل.

هنا بكى الشيخ بكاء شديداً وطلب من الرجل أن يعيد المبلغ إلى ابنه، فهو محتاج له ولا ذنب له في ذلك. ورفض صاحب الدين إعادة

المبلغ مع إصرار الشاب على أن يأخذ الرجل المبلغ. وودعه عند الباب طالباً منه عدم التعرض لوالده وأن يطالبه هو شخصياً بما على والده، وأغلق الباب وراءه.. وتقدم الشاب إلى والده وقبَّل جبينه وقال: يا والدي قدرك أكبر من ذلك المبلغ وكل شيء ملحوق عليه إذا أمد الله عمرنا ومتعنا بالصحة والعافية. فأنا لم استطع أن أتحمل ذلك الموقف، ولو كنت أملك كل ما عليك من دين لدفعته له ولا أرى دمعة تسقط من عينك على لحيتك الطاهرة. وهنا احتضن الشيخ ابنه وأجهش بالبكاء وأخذ يُقبِّله ويقول الله يرضى عليك يا ابني ويوفقك ويحقق لك طموحاتك.

في اليوم التالي وبينما كان الابن منهمكاً في أداء عمله الوظيفي، إذ زاره أحد الأصدقاء الذين لم يرهم منذ مدة، وبعد سلام وعتاب وسؤال عن الحال والأحوال قال له ذلك الصديق الزائر: يا أخي أمس كنت مع أحد كبار رجال الأعمال وطلب مني أن أبحث له عن رجل مخلص وأمين وذي أخلاق عالية ولديه طموح وقدرة على إدارة العمل بنجاح، وأنا لم أجد شخصاً أعرفه تنطبق عليه هذه الصفات إلا أنت، فما رأيك في استلام العمل وتقديم استقالتك فوراً ونذهب لمقابلة الرجل هذا المساء؟

فتهلل وجه الابن بالبشرى وقال إنها دعوة والدي وقد أجابها الله فحمد الله كثيراً على أفضاله، وفي المساء كان الموعد المرتقب بين رجل الأعمال والابن. فما أن شاهده الرجل حتى شعر بارتياح شديد تجاهه، وقال: هذا الرجل الذي أبحث عنه.. فسأله: كم

راتبك؟ فقال: ٤٩٧٠ريال وهناك قال له رجل الأعمال: اذهب صباح غد وقدم استقالتك وراتبك ١٥٠٠٠ ريال وعمولة من الأرباح ١٠٪ وبدل سكن ثلاثة رواتب وسيارة أحدث طراز وراتب ستة أشهر تصرف فوراً لك لتحسين أوضاعك. وما أن سمع الابن ذلك حتى بكى بكاء شديدا وهو يقول: ابشر بالخير يا والدي. وهنا سأله رجل الأعمال عن سبب بكائه، فحدثه بما حصل له قبل يومين، فأمر رجل الأعمال فوراً بتسديد ديون والده.

وكانت محصلة أرباحه من العام الأول لا تقل عن نصف مليون ريال، إنه ثمرة طيبة لعدم اليأس وبر الوالدين وفك ضائقة المسلمين وسداد ديونهم. وهنا انصح جميع إخواني وأحبائي أن يخلصوا النية في سداد الديون وسوف يعينهم الله على قضائها. وانصح ببر وطاعة الوالدين وصلة الرحم، فإن ذلك من أسباب زيادة الرزق وطول العمر. وفقني الله وإياكم لطاعته، فلا تيأسوا من رحمة الله والجأوا إليه فإنه قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه.



الأماني رأس مال المفلسين

عندما أطلق أحد العقلاء عبارته المشهورة (الأماني رأس مال المفلسين) قبل سنوات عديدة، لم يكن يعلم أن زماناً مثل زماننا هذا سيأتي، فيه أقوام يعيشون فقط على الأماني والأحلام. وقد يلومني لائم ويقول: إنك تبالغ في ذلك وتظلم الناس وأبناء هذا الزمن. وإذا كنت كذلك، فبماذا نصف هؤلاء القوم الذين لا يعملون وينتظرون أن تحل كل مشاكلهم وهمومهم وهم نائمون في بيوتهم.. ثم يتهمون المجتمع بأنه لا يلتفت إليهم ولا ينظر إلى حالهم؟

لا يكفي أن يقول أحدهم حاولت وسعيت وجريت ولم أحصل على ما أريد. فالمحاولة والسعي يستمران حتى يصل الإنسان إلى هدفه مستعيناً بالله، متوكلاً عليه.. فمن يطرق الباب عشر مرات أو أكثر فلابد وأن يفتح له الباب.

وقد جاء رجل ذات مرة إلى مفسر الأحلام المشهور ابن سيرين وطلب منه أن يعبر له رؤياه، حيث قال: إنني رأيت أنني أسبح من غير ماء وأطير في الهواء. فقال له ابن سيرين: لله درك أنت رجل كثير الأماني.. فمن بالله منكم يستطيع أن يسبح بدون ماء؟ ومن يقدر على الطيران في الهواء؟ وقد فعلها عباس بن فرناس ذات يوم وكان مصيره الموت.

الأماني لا تحقق شيئاً أبداً، ولكن السعي والعمل والتوكل على الله واللجوء إليه.. هذه العوامل تصل بالإنسان إلى جزء مما يتمناه إذا لم يكن كله.

ومن الأعمال التي تعين على قضاء الحوائج، القيام في النصف الأخير من الليل، حيث ينزل رب العزة والجلال نزولاً يليق بجلاله ويقول بما معناه: هل من داع فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيه؟. هل من مستغفر فأغفر له؟

واسكب يا أخي دمعة بين يدي الله واصدق في اللجوء إليه وتوسل إليه وتذلل له، فلن يردك خائباً.. فما بالنا نقول على قيام ساعة من الليل بأننا لا نستطيع. وإذا قيل لنا إن (سين) من الناس يمكن أن يساعدنا ويعيننا تجدنا لا نمل ولا نكل من التردد عليه ونقطع المسافات والساعات ونكرر المحاولات أياماً وشهوراً وسنين ونرى في ساعة من الليل شيئاً صعباً جداً. سبحان الله، ما أعجزنا وما أجهلنا بمصلحتنا!

وها أنذا أكرر دعوتي لكم بعدم اليأس خاصة ونحن مؤمنون بالله. وما تضيق حتى تُفرج والله المستعان.



تلمَّسوا الأسباب

في غرفة ذات ثلاثة أسرة بيضاء، كان يرقد على السرير الأوسط رجل في غيبوبة تامة، لا يعي ما حوله من أجهزة مراقبة التنفس والنبض وأنابيب المحاليل الطبية.

وفي كل يوم منذ أكثر من عام ودون انقطاع كانت تزور ذلك الرجل امرأة ومعها صبي في الرابعة عشرة من عمره ينظران إليه بحنان وشفقة ويغيران ملابسه ويتفقدان أحواله ويسألان الجهاز الطبي عنه ولا جديد في الأمر. الحالة كما هي لا تقدم ولا تأخر في صحته. غيبوبة تامة وأمل مفقود من شفائه وقبل أن تغادر المرأة والصبي يرفعان أكف الضراعة إلى الله، ثم يغادران المستشفى ويعودان مرة أخرى للزيارة الثانية في نفس اليوم وهكذا دواليك.

المرضى وهيئة التمريض والأطباء في استغراب تام من زيارة المرأة والصبي رغم أنه لا جديد في حياة المريض. ما هذا الإصرار العجيب على تكرار الزيارة مرتين في اليوم رغم أنه لا يعي أي شيء حوله، وفي غيبوبة تامة.. كلموها بعدم جدوى زيارتها له ودعوها للزيارة مرة في الأسبوع. وكانت المرأة لا ترد إلا بكلمة «الله المستعان».. «الله المستعان».. وهكذا. وذات يوم، وقبل موعد زيارة المرأة والصبي بوقت قصير، تحرك الرجل في سريره وتقلب من جنب

إلى جنب آخر ثم فتح عينيه وأبعد جهاز الأوكسجين واعتدل في جلسته ثم نادى الممرضة وسط ذهول الحضور وطلب منها إبعاد الأجهزة الطبية المساعدة، فرفضت واستدعت الطبيب الذي كان في حالة ذهول تام، وأجرى فحوصات سريعة له، فوجد الرجل في منتهى الصحة والعافية وطلب إبعاد الأجهزة وتنظيف مكانها في جسده.

وكان موعد الزيارة قد بدأ. ودخلت المرأة والصبي وما أن رأياه حتى اختلطت الدموع بالابتسامات، والبكاء بالدعاء والحمد والثناء لله الذي أتم نعمة العافية على زوجها. وهنا قال الطبيب للمرأة: هل توقعت أن تجديه يوماً ما بهذه الحالة؟ فقالت: نعم والله كنت أتوقع أن أدخل عليه يوماً وأجده جالساً بانتظارنا.. فقال لها: إن هناك شيئاً ما حصل، ليس للمستشفى أو الأطباء دور فيه. فبالله عليك أخبريني لماذا تأتين يومياً مرتين وماذا تفعلين؟ قالت: بما أنك سألتني بالله فأقول لك: كنت أزور زوجي الزيارة الأولى للاطمئنان عليه والدعاء له، ثم اذهب أنا وابني إلى الفقراء والمساكين في الأحياء الشعبية ونقدم لهم الصدقات بغية التقرب إلى الله لشفائه. فلم يخيب الله رجاءها ودعاءها، فخرجت في آخر زيارة وزوجها معها إلى البيت الذي طال انتظاره لعودة صاحبه إليه، لتعود البسمة والنور والفرحة له وإلى أفراد أسرته. وأنا بدوري أكرر لكم ما أقوله: لا تيأسوا ولكن تلمسوا الأسباب واجتهدوا في الدعاء والصبر والصلاة والله المستعان.

عودة الأمل

شاب انهكته السمنة وتجاوز وزنه المائة والسبعين كيلوغراماً. حاول عشرات المرات أن يخفف وزنه ولكنه فشل بسبب ضعف مقاومته لصنوف الطّعام وما لذ وطاب، مما تحتويه الموائد والولائم، وكذلك لضعف إرادته وعدم وجود هدف محدد لإنقاص الوزن، ذلك أنه لا يعاني من أية أمراض، مثل السكر والضغط وغيرهما من أمراض السمنة ـ ولله الحمد ـ ولكنه يعاني من الإجهاد الشديد والخمول والكسل وقلة النشاط وحيث إن عمله في أحد القطاعات العسكرية، يحتاج إلى الرشاقة والقوة والنشاط والحيوية. قال له رئيسه في العمل: إذا لم تخفف وزنك فسوف أفصلك من العمل وحدد له فترة زمنية لا تتجاوز عاماً واحداً.

بدأ الشاب يفكر بجدية هذه المرة. ما هو الحل؟ هل يضيع مستقبله بسبب هذه السمنة والافراط في الطعام؟ إذن ما هو الحل؟ كل أنواع الرجيم والأدوية والدهانات والمحاليل جربها ولم يخف وزنه. لقد بلغ منه اليأس مبلغه وأوشك أن ينهار وكاد أن يقدم استقالته من العمل، لأنه تأكد بأنه فاشل ولن يستطيع أن يخفف وزنه. وفي تلك اللحظات الحرجة من حياته قال له أحد أصدقائه: إن هناك طبيباً يثنون عليه ثناء كثيراً، فلماذا لا تذهب إليه؟ قال:

لا فائدة. عرضت نفسي عشرات المرات على الأطباء ولم أخرج منهم إلا بزيادة في الوزن. فقال له ذلك الصديق: اجعل هذه المرة المحاولة الأخيرة وبعدها أفعل ما شئت. ولكنه رفض بعدما استولى اليأس على كل تفكيره وحياته، مع إصراره على أن أية محاولة نهايتها الفشل مثل سابقاتها.. ماذا لدى الطبيب سوى لا تأكل هذا ولا تتناول ذلك؟ العب رياضة، تحرك كثيراً، لا تأكل الكبسة والحلويات ولا تشرب البيبسي والشاي.. ماهو الجديد لدى الدكتور الذي نصحني صديقي بزيارته؟ لن يتعدى تلك التوجيهات والإرشادات. وبدأ يكتب استقالته ليقدمها لرئيسه، لأنه يعلم مسبقاً أن السنة سوف تمر بسرعة والوزن سوف يزداد والحالة تسير من سيىء إلى أسوأ.. ومادام الأمر كذلك اختصر المسافة وأقدم الاستقالة.

وبعد أن انتهى من كتابة استقالته، وضعها في مظروف وجمع كل أشيائه الشخصية، استعداداً للرحيل إلى أهله في قريته، بعد أن يقابل رئيسه ويسلمه الاستقالة.

وفي مكتب رئيسه في العمل، وقف الرجل البدين جداً منكسراً وأخرج ورقة الاستقالة من جيبه وأخذ يعد الثواني وهو يتأمل رئيسه وهو يقرأ حروف رسالته حرفاً حرفاً.

ورفع الرئيس رأسه مبتسماً وقال له: لن اقبل الاستقالة ولكن سأمنحك اجازة لمدة عام بدون راتب لأرى ما أنت فاعل.

سعد الرجل بهذا النبأ وشكر رئيسه وحمل حقائبه وركب أول سيارة أجرة إلى عيادة الطبيب (الأمل الأخير).

في عيادة الطبيب حكى للطبيب كل التفاصيل عن حياته حتى آخر لحظة من وصوله إلى عيادته.. رحب به الطبيب وقال له: ستذهب إلى القرية وستأكل كل ما تشتهي وسيخف وزنك وستعود إلى عملك. كل ما أريده منك أن تستمع إلى توجيهاتي جيداً وتنفذها بالكامل.

اذهب إلى قريتك، وهي قرية جبلية في جنوب المملكة، وكل ما شئت ولكن أريدك أن ترعى الغنم من الصباح الباكر وحتى المغرب في الجبال. وكل ما يحلو لك من سمن وعسل وعصيد وتمر وقهوة.

دارت الأيام وانطوت الشهور والرجل يفقد وزنه تدريجياً، كيلوجراماً تلو آخر وما أن انتهى العام حتى حزم حقائبه وعاد إلى المدينة ودخل على الطبيب محملاً بالهدايا القروية (عسل وسمن وتمر) ووقف أمام الطبيب الذي استقبله ببرود وقاله له: نعم ماذا تريد؟ فقال ألم تعرفني يا دكتور؟ فقال له: لا.. قال: إنني ذلك الرجل البدين الذي قلت له اذهب إلى القرية ولم يكمل عبارته حتى قام الطبيب من الكرسي وأخذ يعانق الرجل وهو مندهش جداً ويقول له: (مش معقول)! كيف حدث ذلك؟ فقال له: لم أفعل إلا ما قلته لي ولم أزد على ذلك شيئاً. فهنأه الطبيب بعد أن سمع منه كل شيء وقبل الهدايا التي قدمها له.. وفي الطريق إلى عمله مر بخياط للملابس العسكرية لتفصيل ملابس جديدة، لأن القديمة لم تعد تصلح له.

وفي مكتب رئيسه كانت الدهشة أكبر وكان حديث الناس، لأنه لم ييأس ولم يستسلم لليأس. فحقق النجاح فنحف جسمه وتحوّل من مدرعة بشرية إلى رجل رشيق.

اللغز

يقول الطالب الياباني (اوساهير) الذي بعثته حكومته للدراسة في ألمانيا: لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت لأدرس عليه في جامعة هامبورج، لما وصلت إلى شيء، كانت حكومتي قد أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، كنت أحلم بأن أتعلم، كيف أصنع محركاً صغيراً؟ كنت أعرف أن لكل صناعة وحدة أساسية أو ما يسمى (موديل)، هو أساس الصناعة كلها. فإذا عرفت كيف تصنع وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها، وبدلاً من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل، أو مركز تدريب عملي أخذوا يعطونني كتباً لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها. ولكنني ظللت أمام المحرك، أيّاً كانت قوته وكأنني أقف أمام لغز لا يحل. وفي ذات يوم قرأت عن معرض لمحركات إيطالية الصنع، كان ذلك أول الشهر وكان معي راتبي. وجدت في المعرض محركاً قوة حصانين، ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته وحملت المحرك وكان ثقيلاً جداً وذهبت إلى حجرتي ووضعته على المنضدة وجعلت أنظر إليه، كأنني أنظر إلى تاج من الجوهر. وقلت لنفسي: هذا هو سر قوة أوروبا، لو

استطعت أن أصنع محركاً كهذا لغيرت تاريخ اليابان. وطاف بذهني خاطر يقول: إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى، مغناطيس كحدوة الحصان، وأسلاك وأذرع دافعة، وعجلات وتروس وما إلى ذلك. لو أنني استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها، ثم شغلته فاشتغل، أكون قد خطوت خطوة نحو سر (موديل) الصناعة الأوروبية. وبحثت في رفوف الكتب التي عندي حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات وأخذت ورقاً كثيراً وأتيت بصندوق أدوات العمل ومضيت أعمل. رسمت المحرك، بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمي أجزاءه، ثم جعلت أفككه، قطعة قطعة، وكلما فككت قطعة رسمتها على الورقة بغاية الدقة. وأعطيتها رقماً وشيئاً فشيئاً فككته كله، ثم أعدت تركيبه، وشغلته، فاشتغل، كاد قلبي يقف من الفرح. استغرقت العملية ثلاثة أيام. كنت آكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا ما يمكنني من مواصلة العمل.

وحملت النبأ إلى رئيس بعثتنا فقال: حسناً ما فعلت، الآن لابد أن اختبرك. سآتيك بمحرك متعطل، وعليك أن تفككه، وتكشف موضع الخطأ وتصححه، وتجعل هذا المحرك العاطل يعمل. واستغرقت هذه العملية عشرة أيام، عرفت أثناءها مواضع الخلل. فقد كانت ثلاث من قطع المحرك بالية متآكلة، صنعت غيرها بيدي، صنعتها بالمطرقة والمبرد.

بعد ذلك قال رئيس البعثة، وكان بمثابة الكاهن يتولى قيادتي روحياً، قال: عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ثم تصنع محركاً. ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد، وصهر النحاس، والألومنيوم، بدلاً من أن أعد رسالة الدكتوراة، كما أراد مني أساتذتي الألمان. تحولت إلى عامل ألبس بدلة زرقاء وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر المعادن. كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم، حتى كنت أخدمه وقت الأكل، مع أنني من أسرة ساموراي، ولكنني كنت أخدم اليابان، وفي سبيل اليابان يهون كل شيء. قضيت في هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات، كنت أعمل خلالها ما بين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم. وبعد انتهاء يوم العمل كنت آخذ نوبة حراسة، وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

وعَلِمَ (الميكادو) ـ الحاكم الياباني ـ بأمري فأرسل لي من ماله الخاص، خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهباً، اشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة وأدوات وآلات. وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت، فوضعت راتبي وكل ما أدخرته وعندما وصلت إلى (نجازاكي) قيل لي: إن (الميكادو) يريد أن يراني. قلت: لن استحق مقابلته إلا بعد أن انشىء مصنع محركات كاملاً. استغرق ذلك ٩ سنوات وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي عشرة محركات (صنع في اليابان) قطعة قطعة، حملناها إلى القصر، ودخل الميكادو وانحنينا نحييه وابتسم وقال: هذه اغرب

موسيقى سمعتها في حياتي، صوت محركات يابانية خالصة. هكذا ملكنا (الموديل) وهو سر قوة الغرب، نقلناه إلى اليابان. نقلنا قوة أوروبا إلى اليابان ونقلنا اليابان إلى الغرب.

قصة ذلك الطالب الياباني أوساهير، التي ذكرها الدكتور علي الراعي في مجلة العربي، والذي استطاع بعدم يأسه وتكراره للمحاولة أن يغير، ليس مسار حياته فقط، بل مسار دولة سكانها أكثر من مائة مليون وتحولت من دولة مستهلكة لما ينتجه الغرب إلى دولة مصدرة ومتطورة يحسب لها الغرب ألف حساب. بل أصبحت اليابان نموذجاً فريداً في العديد من المجالات، مثل الإدارة الصناعية والتعليم والاستثمار. وكانت الانطلاقة الأولى لتلك الثورة الضخمة التي حولت اليابان من الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش، هي اصرار ذلك الطالب أوساهير على النجاح وعدم اليأس وعدم استسلامه للفشل في المحاولة الأولى.

وعموماً نحن لا يشكل الغرب ولا الشرق قدوة لنا فلنا في تاريخنا المجيد وديننا الحنيف صور أكثر روعة ودهشة من قصة أوساهير، ولكن ذلك لا يمنع أن ننظر بإعجاب إلى تلك التجربة، علنا نستخلص منها العبر والدروس وليس ذلك فقط، بل ننتقل من مرحلة الإعجاب والإشادة إلى التطبيق الفعلي. ويظل العمل والسعي أهم عاملين يساعدان الإنسان في الوصول إلى هدفه.. أما الاستسلام واليأس والركون إلى الفشل فلا يتحقق معها إلا المزيد من الفشل والمزيد من الهم والغم.

مشكلتنا أننا من أول محاولة فاشلة أو الثانية نركن إلى الاستسلام واليأس ونقول إننا عملنا كل شيء، ولا نستمر حتى الوصول إلى الهدف.. فالعالم اللغوي الكسائي عندما فشل في تعلم النحو جلس ذات يوم إلى جذع شجرة، وقد أكله الهم وحاصره اليأس، وهو يرى عدم قدرته على استيعاب النحو. وبينما هو كذلك رأى نملة تحمل كسرة خبز، كلما حاولت أن تصعد الشجرة تسقط، وتكرر المحاولة تلو المحاولة حتى نجحت في الصعود إلى أعلى الشجرة. فقال: يا إلهي! هل عجزت أن أكون مثل تلك النملة؟ فشمر عن ساعده واجتهد ودرس حتى اصبح من كبار علماء النحو الذين خلفوا لنا أثراً علمياً ونحوياً ضخماً.

وكذلك من يطرق الباب عشر مرات لابد أن يفتح له في النهاية.

فلا تيأسوا وانتظروا الفرج بعد الشدة.

الزم الاستغفار

نعم لا تيأس.. أقولها وكلي ثقة ويقين بأن اليأس لا مكان له في قاموس المؤمن، متى ما امتلأ قلبه يقيناً وإيماناً فإن الله لن يخذله. متى ما صدق في توكله وسعى وتلمس الأسباب وتقرب إلى الله بالطاعات والعبادات وتحرى ساعات الاستجابة، فإن الفرج قادم بعد الشدة. فالمؤمن مبتلى ولو احتسب الأجر فيما جرى له وما لقي في هذه الدنيا لعوض الله صبره خيراً في الدنيا والآخرة.

ولعلّي أورد بعض القصص التي سمعتها من أحد المشايخ الأجلاء وسندها صحيح ـ بإذن الله ـ لتكون كمثال حي لعدم اليأس وانتظار الفرج.

يقول الشيخ إن أحدهم جاء إليه وقد أسودت الدنيا في عينيه وحطمه اليأس وسبقت الدموع كلامه وعبرات تخفي صوته المبحوح. وقال: ماذا أفعل يا شيخ الديون تحاصرني ولا أطيق سدادها ولو عملت خمسين سنة دون أن آخذ ريالاً واحداً من راتبي الشهري لما انتهى ديني؟ فماذا افعل وقد سُدّت في وجهي كل الأبواب؟ فقال له الشيخ بعد أن طيب خاطره ومسح دمعته: استعن بالله ولا تيأس والزم الاستغفار ليل نهار وفي كل حين ولن يخذلك الله.

وغاب الرجل عاماً كاملاً ثم جاء إلى الشيخ وهو في صورة غير تلك التي رآه فيها، وجه مشرق وابتسامة عريضة تسبق سلامه وقبلة شكر على جبين الشيخ، إجلالاً وتقديراً له. فما عرفه الشيخ. فقال: هل تذكرني؟ أنا الذي أتيتك ذات يوم مهموماً مغموماً اشتكيت لك الدين الذي اثقل كاهلي واتعب نفسيتي وشل تفكيري فنصحتني بالتزام الاستغفار في كل حين. فعملت بنصيحتك وقد قضى الله كل ديوني، بل اصبح لدي وفرة من المال. فسأله الشيخ: وكيف حصل ذلك؟

ذات يوم ذهب ذلك الرجل إلى أحد المكاتب العقارية القريبة من سكنه للبحث عن مسكن آخر يستأجره، فشهد وقت حضوره إتمام صفقة عقارية، واتفق الحاضرون على توزيع السعي على من

حضر. وكان نصيبه من تلك البيعة أكثر من ثلاثة آلاف ريـال ففرح الرجل فرحاً شديداً وأخذ يـزور المكـاتب العقاريـة يقتنـص فرصـاً مناسبة وذات يوم أفـاده صـاحب مكتـب بأنـه إذا اسـتطاع أن يقنـع صاحب إحدى الأراضي التجارية المهمة فإن نصيبه في السعي لـن يقل عن ١٠٠,٠٠٠ريال ووفقه الله وتمت البيعة وهكذا استمر سمسـاراً في الأراضي وكان التوفيق حليفه من بيعة إلى أخرى حتى قضى كل ديونه وتحسنت أحوالـه بفضـل الله ثـم بفضـل نيتـه الأكيـدة في أن يقضي دينه فأعانه الله في ذلك فيا اخوتي الشواهد كثيرة وسوف أروي لكم حكايات مماثلة المهم أن نكون صادقين مع الله ومع أنفسنا وأن نتوكل عليه حق التوكل وتكون ثقتنا في الله كبيرة بأن يقبل دعاءنا ويفرّج همنا ويقضي ديوننا والله المستعان.

وأكرر دعوتي لكل واحد منكم وأقول.. لا تيـأس وانتظـر الفرج فإنه قريب بإذن الله.



رسالة إلى مضطر

كثير من المهمومين بحاجة إلى كلمة طيبة ترفع معنوياتهم وتشحذ هممهم وتقوي عزيمتهم على الصبر حتى يأتي الفرج من الله. وقد استمعت لمحاضرة قيّمة لفضيلة الشيخ محمد محمد المختار الشنقيطي - حفظه الله - بعنوان (رسالة إلى مضطر) أجد فيها الكثير من السلوان للمهمومين. وقد أبدع الشيخ في صياغتها واختيار عباراتها والتحدث بأسلوب المؤثر. وسوف أقوم باستعراضها معكم وقد استهلها الشيخ بسلام طويل استعرض خلاله كافة الحالات التي يوجه إليها هذه الرسالة المؤثرة.

فقد قال الشيخ بعد حمد الله والصلاة على نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام:

سلامٌ على كل مؤمن.. سلامٌ على كل مؤمن مبتلى مغموم.. سلامٌ على كل مؤمن مبتلى ضرير.. سلامٌ على كل مؤمن مجروح أو كبير.. سلامٌ على كل أولئك الذين فُجعوا بأهليهم.. سلامٌ على أولئك الذين فُجعوا بأحبتهم وذويهم.. سلامٌ على كل من فارق الآباء والأمهات.. سلامٌ على كل من ودع الخلان والأصحاب والأخوان.. سلامٌ على من فُجِع بالأبناء والبنات.. سلامٌ عليك إذ ودعت أباً كريماً طالما مد يد المعروف إليك إذا ودعته دار البلاد وأسلمته إلى

يوم غد فكان آخر عهدك به إذ ولاك قفاه منشغلاً بما أقدم عليه من الله جل وعلا.. سلامٌ عليك إذا رجعت إلى دارك ففقدت صورته وحنانه.. سلامٌ عليك إذا رجعت إلى دارك فانقطع صوته بينك وبين أبنائك.. سلامٌ عليك إذا ودعت أماً حنوناً طالما أسدت يد المعروف إليك.. سلامٌ عليك إذ فجعت بها وقد كان ثديها لك سقاء وبطنها لك وعاء وحجرها لك حواء.. أسلمتها إلى يد الردى والبلاء.. وما وفيت شيئاً من معروفها عليك.. أسلمتها إلى دار البلاء وما أديت حقوقها من البر عليك.. سلامٌ عليك إذا ودعت الأصحاب والأحباب وخلفوك في هذه الدنيا وحيداً فريداً مع الذكريات.. سلامٌ عليك إذا فجعت بهم وعظم مصابك بهم.. سلامٌ على كل مؤمن مهموم مغموم طريح البلاء طريح الأذى.. سلامٌ على من نزل به البلاء فعظم عليه البلاء. سلامٌ على من بات طريح الأسرّة البيضاء.. سلامٌ على كل مؤمن فجع بالأعضاء.. سلامٌ على كل مؤمن ذي عين عميت أو عورت.. سلامٌ على كل مؤمن ذي يد قُطعت أو شُلت.. سلامٌ على كل مؤمن ذي قدم بُترت أو حسمت.. سلامٌ على أهل البلايا من عباد الله المؤمنين.. عظم الله أجركم وجبر الله كسركم وعوضكم خيري الدنيا والآخرة.. ومن لكم غير الله يبدد أشجانكم وأحزانكم؟ ومن لكم غير الله يؤنسكم من الوحشة ويعيد إليكم ما فقدتم من النعمة؟ ومن لكم غير الله إذا دفعتم عن الأبواب إلا بابه، ومن لكم غير الله إذا صرفتم وخاب الرجاء إلا رجاؤه؟ ومن لكم غير الله أعز مطلوب وأشرف مرغوب.. سلامٌ عليكم من

الله ورحمات.. سلامٌ عليكم من الله ورضوان ومغفرات.. عدد ما سكبتم من العبرات.. ولفظتم من الآهات والأنات والصيحات.

أحبتي في الله، إنها الدار وأي الدار دار الدنيا والدناءة، إن أضحكتك يوماً أبكتك أياماً وإن سرّتك يوماً ساءتك سنيناً وأعواماً، هي الدار التي جعل الله عز وجل شرورها أعظم على المؤمن من شرورها على من كفر، هي الدار التي جعل الله بلاءها على من بر أعظم من بلائها على من عجز، فالمؤمن فيها غريب حتى يلقى الله، فهو ابن الآخرة وليس ابناً لهذه الدنيا الدنيئة، تعضه بأنيابها وتقلقه بفواجعها. ولكنه وإن آلمته بأشجانها وأحزانها ودرنته بأسقامها وآفاتها، فله من الله وعد لا يُخلف ورجاء في الله لا يخيب صاحبه وله في ركن لا يضيع صاحبه، إليه المفزع وفيه المطمع له من الله سلوان من الكروب وله من الله رحمة من تلك البلايا والخطوب. إنها الدار المؤلمة، إنها الدار المحزنة التي صب الله عز وجل فيها البلايا على المؤمن لذلك فإن خير ما يحتاجه العبد المؤمن في هذه الدار، إذا عظمت مصيبته وجلت كربته، أن يجد من يعينه على أشجانها وأحزانها. أحوج ما يحتاجه المؤمن إلى كلمة من أخيه تثبته أو رسالة من محب تسليه أو كلمة صدق عن البلاء تعزيه. يحتاج المؤمن إلى إخوانه، يواسونه في الأشجان والأحزان ويبددون عنه ما حصل وما كان. يحتاج المؤمن إلى الكلمة الصادقة النابعة من الأخ المشفق. ولذلك شرع الله عز وجل عيادة المرضى ووعد الله تبارك وتعالى من عادهم بجليل الرضى. ففي الحديث الصحيح عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من عاد مريضاً فهو في خرفة الجنة حتى يعود**). من خرج لوجه الله عز وجل إلى أخ يواسيه في مرضه أو يسليه من بلائه، فخطواته في سبيل الله ولحظاته وأنفاسه في طاعة الله ومرضاة الله.

وكان بعض السلف إذا خرج لعيادة المريض يقرب الخطا حتى يطول زمانه في رحمة الله من عيادته. وشرع الله عز وجل تشييع الجنائز، لما في تشييعها من تسلية للمصابين. فالمؤمن قوي بإخوانه، شديد بأعوانه، فإذا وجد هذا يسليه وهذا يثبته وهذا يعزيه، هان عليه ذلك الخطب الذي يجده، ويسر الله عز وجل عليه ذلك البلاء الذي يعانيه. لذلك أحبتي في الله فإن سلوان المصابين وتثبيت قلوب عباد الله المؤمنين المفجوعين المنكوبين من أجل القربات وأعظم الحسنات والطاعات التي يحبها الله تبارك وتعالى. وانطلاقاً من هذا كله فإليك أخي المهموم، إليك أخي المكروب والمغموم كلمات من الأعماق أسأل الله تبارك وتعالى أن يبدد بها أشجانك وأن يزيل بها أحزانك وأن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة يوم لقائه.. أول وصية أوصيك بها: إذا فجعت في نفسك أو أهلك وولدك أن ترضى عن الله، فوالله ما رضي عبد عن الله إلا أرضاه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن عِظَم الجزاء على عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم**) فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط. من رضي عن الله أرضاه الله في دنياه وأخراه. وكتب عمر بن الخطاب رضي

الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يوصيه ويذكر له تلك الوصية النافعة، فاستفتح كتابه رضي الله عنه بقوله: (أما بعد فاعلم) أن الخير كله في الرضا عن الله، أن الخير كله أن ترضى عن الله. اعلم أخي في الله أنه إذا أصابك البلاء فرضيت عن الله أرضاك الله في الدنيا والآخرة وأقر الله عينك وأثلج صدرك. فكم من مصيبة عادت نعمة على العبد إذا رضي عن الله تبارك وتعالى فكم من بلايا رضي أصحابها زادتهم من الله قربى ومن الله رضا وحبا. أول وصية أن ترضى عن الله تبارك وتعالى. ولهذا الرضا دلائل، أولها: طيب الكلام وحسن الظن بالله تبارك وتعالى ومن ثم قال العلماء إن العبد إذا رضي عن الله وهبه اليقين في مصيبته. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾** قال رضي الله عنه (يهد قلبه) أن يجعل له أن يؤمن وأن يهبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. فإذا كان الإنسان راضيا عن الله تبارك وتعالى وعنده الإيمان واليقين الذي ربى به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ثبت الله جنانه.

كان بعض السلف إذا أصيب بالمصيبة أظهر الرضى لله. قام أحدهم بين أناس فجالت يده فقطعت فضحك. قالوا: سبحان الله، تصاب في يدك فتضحك!! قال: إني ذكرت ثوابي عند الله عز وجل فضحكت. وصار الفضل رضي الله عنه في جنازة ابنه فلما كان معهم تبسم ــ رحمه الله ــ قالوا: لِمَ تبسمت رحمك الله؟ قال:

احتسبت مصيبتي عند الله فذكرت ما لي عند الله فسلوت فضحكت. فكلما كان اليقين في قلب العبد وجدته اثبت جنانا وأشرح لله عز وجل صدراً. والله ما رضي عبد عن الله إلا جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا. فإذا حصل الرضى فإن بعد الرضى أمر مهم لابد من وجوده وهو علمك بأنه لا يرفع البلاء إلا الله وأنه لا يدفع هذا العناء الذي تجده إلا الله. كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه، فأوصى البراء بن عازب رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه أن يقول: (اللهم إني أسلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك) أول ما يحس الإنسان بالبلاء، إذا أراد أن يفرج الله كربه وهمه أن يحس من أعماق قلبه أنه لا ينجيه أحد من هذا البلاء إلا الله عز وجل. هذا نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أوذي في الله فصبر فجمع له قومه ذلك الوادي العظيم من النار حتى إذا تأجج ذلك الوادي بناره واصطلى بجحيمه وسعيره ألقي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا صار مقبلا على ذلك البلاء العظيم مسلماً لله عز وجل فيما ابتلاه فلما قدم قال له جبريل: هل لك من حاجة؟ ذلك الملك الذي لو أذن الله له لخسف الأرض ومن عليها بجناحه.

قال يا إبراهيم هل لك من حاجة؟ فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أما إليك فلا وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل. فقال الله تعالى: **﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**. قال بعض العلماء: لو قال الله يا نار كوني بردا لأهلكته من بردها، لكنه قال كوني برداً وسلاماً على إبراهيم.. ثم خرج عليه الصلاة والسلام

طريداً عن قومه، مهاناً من عشيرته، وحيداً لا مال ولا بنون لا اخوة ولا أصحاب ولا أحباب. فخرج من داره مقهوراً في الله مضطهداً فلما ولى وجهه قال عليه الصلاة والسلام: إن معي ربي سيهدين. قال عليه الصلاة والسلام إني ذاهب إلى ربي سيهدين، ربي هب لي من الصالحين. فخرج من داره فعوضه الله أطيب من الدار التي خرج منها، عوضه الله الأرض المقدسة وجعل ذريته ذرية النبوة والصالحين وجعل فيها ميراث الأنبياء صلى الله عليه وسلم. كل ذلك باليقين بالله. فكل إنسان أصابته مصيبة فعلم أنه لا ينجيه منها إلا الله عز وجل فرج الله همه وغمه. أمره الله تبارك وتعالى أن يخرج بهاجر مع صبيها ورضيعها، أن يخرج من دار كلها جنات وانهار إلى دار لا ماء فيها ولا أشجار. فجاء فوضعها في ذلك الوادي الذي لا أنيس فيه ولا جليس. فتعلقت به تلك المرأة المفجوعة وقالت: إلى من تدعنا يا إبراهيم؟ فولى وجهه عليه الصلاة والسلام قبل الدابة، فتعلقت به ثانية وقالت إلى من تدعنا يا إبراهيم؟ امرأة ضعيفة وصبي ضعيف ليس معهما أحد، تتعلق به قائلة: إلى من تدعنا يا إبراهيم؟ فلما كانت المرة الثالثة تعلقت به وألحت فقالت إلى من تدعنا يا إبراهيم؟ فقال: الله.. فقالت: إذاً لا يضيعنا الله. ورجعت إلى صبيها وقلبها كله يقين بالله تبارك وتعالى. فتولى عليه الصلاة والسلام حتى إذا نزل في الوادي وتغيب عن نظرها رفع كفه إلى الله فقال: **﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات**

لعلهم يشكرون﴾ الله أكبر، إلى يومنا هذا والقلوب تحن وتئن إلى رؤية البيت العتيق، إلى يومنا هذا والنفوس تشتاق إلى رؤية البيت العتيق. فلما جلست تلك المرأة المفجوعة مع صبيها وعاينت ما هي عليه من البلاء، جاءت تلك الساعة التي صاح فيها الصبي يطلب الماء. وعندها خرجت لكي تلتمس الأسباب، فرقت على الصفا فصاح صبيها فلم تر أحداً ثم مضت إلى المروة وتعلقت بالله عز وجل تدعوه وترجوه حتى إذا كانت المرة السابعة، أبى الله أن يفرّج همها إلا بالصبي نفسه فجعل تفريج الكرب من تحت قدمي الصبي الذي دحس برجله الماء. من أيقن بالله تعالى جعل الله فرجه في نفسه قبل أن يكون بعيداً عنه.

وقد أصيب بعض السلف في مصيبة وعظمت عليه هذه المصيبة، وكانت آفة في جسده ومازال يعرض نفسه على الناس رجلاً بعد الرجل، حتى يئس من علاج هذا الداء وقنط أن يشفى من ذلك البلاء. فدخل يوماً من الأيام فإذا رجل يتلو كتاب الله فسمعه يتلو قول الله عز وجل ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ فقال: اللهم أنا المضطر وأنت المجيب. فما قام من ساعته إلا وهو معافى.. إذا دخل اليقين إلى قلب عبد لا يمكن أن يبرح وحاجته في قلبه بل ان بعض الناس يمسي المساء وحاجته تضايقه وكربته تؤلمه فيصدع إلى الله بالدعوة الصادقة يعز على الله أن يصبح وحاجته في قلبه، تفرج عليه قبل أن يصبح. وهذا من عظيم لطف الله على العباد. ومن الأمور التي

تبعث اليقين، حسن الظن بالله تبارك وتعالى.. والله ما أحسن عبد ظنه بربه إلا كان الله عند حسن ظنه. إذا أصابتك المصيبة فأحسن الظن بالله وقل ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار. من قالها فقد أوجب الرضا من الله تبارك وتعالى. ولذلك أحرص ما يكون الشيطان في بداية المصيبة أن يسيء ظنك بالله عز وجل، ولذلك إذا جاءت المصيبة في النفس أو جاءت في المال أو جاءت في الولد جاءك الشيطان فقال لك: لو كان الله يحبك ما ابتلاك ولو كان الله يحبك ما أصابك ما أصابك في ابنك، فلذة كبدك ولو كان الله يحبك ما أفقدك مالك على كبر سنك ولو كان الله.. ولو كان الله.. أحرص ما يكون على أن تكون على سوء ظن بالله عز وجل.. فالله الله أن يسوء ظنك بالله عز وجل، بل قل الحمد لله وليكن قلبك مطمئناً بالفرج من الله تبارك وتعالى. فمن اتقى الله جعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا.

أخي: المُلك لِمَن؟ والكون لمن؟ والتدبير لمن؟ من الذي يجير ولا يجار عليه؟ ومن الذي يغيث ولا مغيث سواه؟ لو علم المكروب سعة رحمة الله عز وجل ما تألم من كربة. ولو أيقن المكروب بحلم الله به لا يمكن أن يصيبه بلاء في نفسه. واضرب لك مثلاً يسيراً: لو أنك يوماً من الأيام سُئلت عن أرحم الناس بك وأحلم الناس عليك لقلت أبي وأمي ولكان في قلبك يقين أن لا أرحم في الناس من أبيك وأمك. والله ثم والله لرحمة أبيك بك، لا تأتي مثقال ذرة في رحمة الله عز

وجل بك، وللطف الله عز وجل وحنانه وحلمه وأنت تقاسي الآلام وتكابد الأسقام أشد من رحمة والديك بك ولكن يريد أن يرفع درجتك ويريد أن يحط خطيئتك ويريد أن يخرجك من هذه الدنيا صفر اليدين من السيئات والخطايا حتى إذا وافيته، وافيته بوجه أبيض مشرق منير من تلك البلايا.. وأن من عباد الله من هو والله حبيب لله لا يبتليه الله عز وجل إلا لكي يدنو منه، يبتليه لكي يسمع صوته: يا رب يا رب، إلهي سيدي مولاي يسمع إخباته، يسمع إنابته فتكون أصدق شاهد على توحيده لله تبارك وتعالى. هذه البلايا وهذه الفتن بسطت لك لكي تكون سلماً إلى رحمة الله عز وجل، شعرت أو لم تشعر.

فمن هذا الساحر ومن هذا الكاهن الذي يستطيع أن يتخطى أمر الله عز وجل؟ ومن هذا العبد الذي يستطيع أن يقضي شيئاً لنفسه قبل أن يقضيه لغيره من دون الله عز وجل؟ فالله الله أن ينظر الله عز وجل إليك في البلاء وقد رفعت كفك إلى غير الله.. الله الله أن ينظر الله إليك في البلاء وقد تعلقت بغيره جل في علاه.. الله الله أن ينظر الله إليك في البلاء وقد صرفت شعبة من شعب قلبك تعتقد فيها في أحد سواه.. الله الله أن ينظر الله إليك في البلاء وقد تعلقت بغيره وعذت بأحد سواه. فوالله إن وليت عن الله خسف الله الأرض من تحت قدمك. وكم من أقوام استعاذوا واستجاروا بغير الله ففرج الله عنهم الكربات امتحاناً واختباراً واستدرجهم منه علماً وحكمة واقتداراً، ثم ابتلاهم بالبلاء الذي هو نهايتهم من حيث لا يحتسبون.

ذُكر عن رجل أنه كان يقرب ساحراً وكان يثق في هذا الساحر ثقة عمياء، فكان هذا الساحر يزعم لذلك المبتلى بأنه يفرج همه وينفس كربه والله يستدرجه يوماً تلو يوم حتى قوي اعتقاد ذلك الرجل في ذلك الساحر ـ والعياذ بالله ـ وقوي اعتقاده في ذلك الكاهن من دون الله.. ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ فشاء الله عز وجل لما عظم يقين هذا العبد أن يسلط عليه الساحر فيؤذيه - والعياذ بالله - بسحره.

فلذلك أحبتي في الله من وثق بالله وأيقن بالله تبارك وتعالى أحس في قرارة قلبه أن لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إلى الله.. إن فقدت الأموال فإنك لم تفقد ربها. وإن فقدت الأبناء والبنات فإنك لم تفقد من أوجدها ومن خلقها. وإن فقدت الآباء والأمهات فإنك لم تفقد من جُبلت قلوبهم على الحنان فأحسنوا إليك ووهبوا يد المعروف إليك. فالله الله أن يخيب ظنك في رجائه أو تكون من عباده الذين ضل سعيهم بالرجاء في غيره.

الوصية الأخيرة التي أوصي بها كل مفجوع وأوصي بها كل مؤمن مفزوع، وصية وصى الله عز وجل بها في كتابه وذكرها في أكثر من ٨٠ موضعاً في كتابه، إنها الصبر على البلاء. قال الله تعالى يوصي نبيه:

﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ وقال لعباده المؤمنين: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**

وقال مثنياً على نبيه أيوب: **﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أوّاب﴾** الله أكبر إنا وجدناه صابراً إذا أنزل الله عليك البلاء فأصبحت صابراً قانتا لله، ينعم الله عليك فيقول: نعم العبد أيوب حينما أصيب في نفسه وأصيب في أهله وأصيب في ولده فصبر لوجه الله، قال الله عنه: **﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾**.

فإذا أردت أن ينعم الله عليك قال صلى الله عليه وسلم: (**ومن يصبر يصبره الله**) وقال عليه الصلاة والسلام (**ما أعطي عبد عطاء أفضل من الصبر**).

إلى القارئ الكريم؛ اعلم أنني قد أطلت في (رسالة إلى مضطر) ولكني مضطر لإكمالها لما فيها من فوائد جمة وصور رائعة علها تكون عزاء للمضطرين والمحتاجين.

أخي في الله؛ جرب في أي بلية نزلت بك أو مصيبة لا قدر الله أحاطت بك، إذا صبرت وسلوت وتعزيت أحسست بنوع من الارتياح وأحسست بطمأنينة وانشراح، وذلك عاجل ما يكون للصابرين.. أما العاقبة التي تجنيها فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عاقبة الدنيا: وجدنا ألذ عيشنا بالصبر. ما طابت الحياة ولا لذت الحياة بشيء مثل الصبر إن أصابتك المصيبة تعلقت بالله فسلوت فأصبحت لا تقلق ولا تجزع، تحس أن الله تبارك وتعالى سيحسن لك العاقبة إما أن يزيلها أو يعظم لك الأجر فيها. والله تعالى يقول في كتابه، **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** وبغير حساب من الله

ليست بالهين.. وقال بعض العلماء في هذه الآية الكريمة، إن العبد إذا عظمت مظالم العباد عليه فإن الله عز وجل يوفي المظالم بالصبر ولذلك قال في الصيام **﴿كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به﴾**.. قال العلماء: لأن الصيام صبر واحتساب، فإذا امتلأ الإنسان بمظالم الناس وجاءته البلايا فصبر ضاعف الله أجره في الصبر حتى تؤخذ المظالم منه حسنة حسنة ولا يزال الصبر يضاعف أجره حتى يأخذ أجر العمل كاملاً.. فيوافي الله عز وجل برحمته منه ورضوان.. الصبر أعظم خصلة في المؤمن والله تعالى وعد أهلها بقوله: **﴿والله مع الصابرين﴾** فمن صبر صبرَّه الله عز وجل ومن ثبت ثبَّت الله عز وجل جنانه وقلبه. ولذلك أثر عن بعض الصالحين من السلف والماضين أنهم كانوا يجدون اللذة في الصبر فكان الواحد منهم إذا صبر لا يشتكي إلى أحد ولا يُطلع أحداً على بلائه إلا إذا اطلع من دون علمه. وأذكر بعض العلماء الفضلاء من مشايخنا - رحمة الله عليهم - ابتلي ببلاء في جسده فمكث ثلاث سنوات لا يعلم أبناؤه بذلك البلاء حتى انتفخ جلده وتقرح ذلك الجلد من قوة صبره ويقينه بالله. ولذلك نجد الصبر على مراتب، أعظمها وأجلها ألا تشتكي الله إلى خلقه وألا تبث أحزانك وأشجانك إلا إلى الله وحده لا شريك له وهذا هو خلق الأنبياء. قال الله عن نبيه يعقوب: **﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾** إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. فأكمل ما يكون الصبر إذا كتم العبد غيظه وصبر على بلائه

ووافى الله تبارك وتعالى محسن الظن به، فهذه أكمل درجات الصبر وليس معنى هذا أنه يحرم على الإنسان أن يبث أشجانه وأحزانه إلى الناس، كلا إنما المقصود أن يكون الإنسان على الأكمل فلا يشتكي إلا إلى ربه ولا يعول على تفريج كربه إلا على خالقه. ولذلك جعل الله تبارك وتعالى ثمرات الصابرين خيراً. وكان بعض السلف رحمهم الله إذا اشتكى إليه أحد مرضه قال له: اتق الله أتشتكي من يرحم إلى من لا يرحم؟ أي هل تشتكي الله إلى خلقه؟ فأكمل ما يكون الصبر إذ تعزى العبد بربه وبث أحزانه وأشجانه إلى خالقه.. نسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل لنا ولهم من كل هم فرجاً ومن كل بلاء عافية.. اللهم فرّج هم المهمومين ونفّس الكرب عن المكروبين، اللهم فك أسر المأسورين وارحم عبادك المعذبين وسلّ عبادك المصابين، اللهم أنا نسألك يقيناً تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم إنا نسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.. اللهم آمين.



الفهرس



شركة مطابع نجد التجارية
تلفون : ٤٤٨٨٠٢٤ - ٤٤٨٨٠٢٦ فاكس : ٤٤٨٠٧٥٥